ورأيته لما كان مقيماً بدمشق في آخر مرة اتى اليها وهو شيخ نحيف الجسم ربع القامة حسن الكلام جيد العبارة وكانت مسطرته ابلغ من لفظه. وكان رحمهُ الله ربما تجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسه. وكان يستنقص الفضلاء الذين في زمانه وكثيراً من المتقدمين. وكان وقوعهُ كثيراً جداً في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه

ونقلت من خطه في سيرته التي الفها ما هذا مثالهُ قال :— اني ولدت بدار جدي في درب القالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتربيت في حجر الشيخ ابي النجيب لا اعرف اللعب واللهو واكثر زماني مصروف في سماع الحديث واخذت لي اجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر. وقال لي والدي يوماً قد سمعتك جميع عوالي بغداد والحقتك في الرواية بالشيوخ المسان. وكنت في اثناء ذلك اتمم الخط واتحفظ القرآن والفصيح[1] والمقامات وديوان المتنبي ونحو ذلك ومختصراً في الفقه ومختصراً في النحو فلما ترعرعت حملني والدي الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري وكان يومئذ شيخ بغداد ولهُ بوالدي صحبة قديمة ايام التفقه بالنظامية[2] فقرأت عليهِ خطبة الفصيح فهذر كلاماً كثيراً متتابعاً لم افهم منهُ شيئاً لكن التلاميذ حولهُ يعجبون منهُ. ثم قال انا اعفو عن تعليم الصبيان احملهُ الى تلميذي الوجيه الواسطي يقرأ عليهِ فاذا توسطت حالهُ قرأ عليّ. وكان الوجيه عند بعض اولاد رئيس الرؤساء وكان رجلاً اعمى من اهل الثروة والمروءة فاخذني بكفهِ يديهِ وجعل يمشي من اول النهار الى آخره بوجوه كثيرة من التلطف فكنت احضر حلقتهُ بمسجد الظفرية ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها وفي آخر الامر اقرأ درسي ويخصني بشرحه ثم نخرج من المسجد فيذاكرني في الطريق فاذا بلغنا منزلهُ اخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسهِ فاحفظ معهُ ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسهُ ويشرح لهُ وانا اسمع. وتخرجت الى ان صرت اسبقهُ في الحفظ والفهم واصرف اكثر الليل في الحفظ والتكرار

واقمنا على ذلك برهة كلما جاء حفظي كثر وجاد وفهمي قوي واستنار وذهني اتقد واستقام وانا الازم الشيخ وشيخ الشيخ. واول ما ابتدأت حفظت اللمع[3] في ثمانية اشهر اسمع كل يوم شرح اكثرها مما يقرأهُ غيري وانقلب الى بيتي فاطالع شرح الثلاثين وشرح الشريف عمر بن حمزة وشرح ابن برهان وكل ما اجد من شروحها واشرحها لتلاميذ يختصون بي الى ان صرت

---

(١) كتاب ثعلب في اللغة (٢) مدرسة ببغداد المشهورة بالنظامية نسبة الى نظام الملك الصوفي وزير السلطان الب ارسلان وولدهِ ملك شاه شرع في بنائها سنة ٤٥٧ هجرية

(٣) لعلها اللمع في اصول الفقه للشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ ه

اتكلم على كل باب كراريس ولا ينفد ما عندي . ثم حفظت ادب الكاتب[1] لابن قتيبه حفظاً مثقناً اما النصف الاول ففي شهور واما ثلوثه اللسان ففي اربعة عشر يوماً لانهُ كان اربعة عشر كراساً . ثم حفظت مشكل القرآن لهُ وغريب القرآن لهُ وكل ذلك في مدة يسيرة ثم انتقلت الى الايضاح[2] لابي علي الفارسي فحفظتهُ في شهور كثيرة ولازمت مطالعة شروحهِ وتتبعتهُ التتبع التام حتى تبحرت فيهِ وجمعت ما قال الشراح . واما التكملة[3] فحفظتها في ايام يسيرة كل يوم كراساً وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب[4] للمبرد وكتاب ابن درستويه وفي اثناء ذلك لا اخلل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب وقال للشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفاً اكثرها في النحو وبعضها في الفقه والاصولين وفي التصوف والزهد واتيت على اكثر تصانيفهِ سماعاً وقراءة وحفظاً وشرع في تصنيفين كبيرين احدهما في اللغة والآخر في الفقه ولم يتفق لهُ اتمامها وحفظت عليهِ طائفة من كتاب سيبويه واكببت على المقتضب فانقنتهُ وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحهِ للسيرافي . ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخي كتباً كثيرة منها كتاب الاصول[5] لابن السراج والتسخة في وقف ابن الخشاب برباط المأمونية . وقرأت عليهِ العروض والعروض للخطيب التبريزي وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري واما ابن الخشاب فسمعت بقراءتهِ معاني الزجاج على الكاتبة شهدة بنت الابري[6] وسمعت منهُ الحديث المسلسل وهو الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء

وقال ايضاً ان من مشايخهِ الذين انتفع بهم كما زعم ولد امين الدولة بن التلميذ[7] وبالغ في وصفهِ وكثّر وهذا فلكثرة تعصبهِ للعراقيين والاّ فولد امين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريباً منها . وقال انهُ ورد الى بغداد رجل مغربي طوال في زي الصوف لهُ ابهة ولسن مقبول

(١) كتاب مشهور لابن قتيبة النحوي المتوفى سنة ٢٧٠ هـ

(٢) كتاب في النحو للشيخ ابي علي الفارسي النحوي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ

(٣) لابي علي الفارسي ايضاً اتمها لعضد الدولة

(٤) المقتضب في النحو للمبرد النحوي ولعلهُ اراد المقتضب في كلام العرب لابن جني الموصلي النحوي

(٥) كتاب مرجوع اليهِ في النحو لابن السراج النحوي المتوفى سنة ٣١٦ هـ

(٦) هي فخر النساء شهدة بنت ابي نصر الابري الكاتبة المشهورة الاصل البغدادية المولد والوفاة كانت من علماء زمانها وتوفيت سنة ٥٧٤ هـ

(٧) هبة الله بن ساعد الطبيب النصراني كان نسيباً ببغداد وتوفي سنة ٥٦٠ هـ

الصورة عليهِ صحة الدين وهيئة السياحة بتفصل لصورته من رآهُ قبل ان يخبرهُ يعرف بابن تاتلي يزعم انهُ من اولاد الشيخة خرج من المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن فلما استقر ببغداد اجتمع اليهِ جماعة من الاكابر والاعيان وحضرهُ الرضي القزويني وشيخ الشيوخ ابن سكينة وكنت واحداً ممن حضرهُ فاقرأني مقدمة حساب ومقدمة ابن بابشاذ في النحو وكان لهُ طريق في التعليم عجيب ومن يحضرهُ يظن انهُ متجر وانما كان متطرفاً لكنهُ قد امعن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها واتى على كتب جابر[1] باسرها وعلى كتب ابن وحشية[2] وكان يخلب القلوب بصورته ومنطقهِ وايهامهِ فملأ قلبي شوقاً الى العلوم كلها واجتمع بالامام الناصر لدين الله واعجبهُ ثم سافر. واقبلت على الاشتغال وشمرت ذيل الجد والاجتهاد وهجرت النوم واللذات واكببت على كتب الغزالي المقاصد والمعيار والميزان ومحك النظر. ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وبحثت فيهِ وحصلت كتاب التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر ابن حيان الصوفي وابن وحشية وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة واقوى من اضلني ابن سينا بكتابهِ في الصنعة الذي تمم بهِ فلسفتهُ التي لا تزداد بالتمام الاَّ نقصاً

ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة حيث لم يبقَ ببغداد من يأخذ بقلبي ويملأ عيني وبخل ما يشكل عليَّ دخلت الموصل فلم اجد فيها بغيتي لكن وجدت الكمال بن يونس جبلاً في الرياضيات والفقه متطرفاً من باقي اجزاء الحكمة قد استغرق عقلهُ ووقتهُ في حب الكيمياء وعملها حتى صار يستخف بكل ما عداها. واجتمع اليَّ جماعة كثيرة وعرضت عليَّ مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر الملاصقة ودار الحديث التي تحتها وافت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل ليلاً ونهاراً وزعم اهل الموصل انهم لم يروا من حد قبلي ما رأوا مني من سعة المحفوظ وسرعة الخاطر وسكون الطائر. وسمعت الناس يهرجون في حديث الشهاب السهروردي المتفلسف و يعتقدون انهُ قد فاق الاولين والآخرين وان تصانيفهُ فوق تصانيف القدماء فهممت لقصدهِ ثم ادركني التوفيق فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفهِ وكان ايضاً معتقداً فيها فوقعت على التلويحات واللمحة والمعارج فصادفت فيها ما يدل على جهل اهل الزمان ووجدت لي تعاليق كثيرة لا ارتضيها هي خير من كلام هذا الاحمق وفي اثناء كلامهِ يثبت حروفاً مقطعة يوهم بها امثالهُ انها اسرار الهية

(١) جابر ابن حيان الصوفي المتوفى سنة ١٦١ هـ صاحب كتاب اسرار الكيمياء

(٢) صاحب كتاب الفلاحة النبطية المتوفى سنة ٣١٦ هـ

ولما دخلت دمشق وجدت فيها من اعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الاحسان الصلاحي جمعاً كثيراً منهم جمال الدين عبد اللطيف ولد الشيخ ابي النجيب وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء وابن طلحة الكاتب وبيت ابن جهير وابن العطار المقتول الوزير وابن عبيرة الوزير واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرى بيننا مباحثات وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً لهُ جانب من السلطان لكنهُ كان معجباً بنفسهِ مؤذياً لجليسهِ وجرت بيننا مباحثات فاظهرني الله تعالى عليهِ في مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبهُ فكان يتأذى باهمالي لهُ اكثر مما يتأذى الناس منهُ

وعملت بدمشق تصانيف جمة منها غريب الحديث الكبير جمعت فيهِ غريب ابي عبيد القاسم بن سلام وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي وكنت ابتدأت بهِ في الموصل وعملت لهُ مختصراً سميتهُ المجرد وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراساً وكتاب الالف واللام وكتاب رُبَّ وكتاباً في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين . وقصدت بهذه المسئلة الردّ على الكندي

ووجدت بدمشق الشيخ عبد الله بن نائلي نازلاً بالمأذنة الغربية وقد عكف عليهِ جماعة وتحزب الناس فيهِ حزبين لهُ وعليهِ فكان الخطيب الدولعي عليهِ وكان من الاعيان لهُ منزلة وناموس . ثم خلط ابن نائلي على نفسهِ فاخان عدوهُ عليهِ وصار يتكلم في الكيمياء والفلسفة وكثر التشنيع عليهِ واجتمعت بهِ قصار يسألني عن اعمال اعتقد انها خسيسة نزرة فيعظمها ويجتهل بها ويكتبها مني وكاشفتهُ فلم اجدهُ كما كان في نفسي فساء بهِ ظني وبطريقهِ ثم باحثتهُ في العلوم فوجدت عندهُ منها اطرافاً نزرة فقلت لهُ يوماً لو صرفت زمانك الذي ضيعتهُ في طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية او العقلية كنت اليوم فريد عصرك محدوماً طول عمرك وهذا هو الكيمياء لا ما تطلبهُ[1] . ثم اغتبت بحالهِ وانزجرت بسوء ما كهِ والسعيد من وُعظ بغيرهِ فاقلعت ولكن لا كلّ الاقلاع . ثم انهُ توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو اليهِ الدولعي وعاد مريضاً وحمل الى البيمارستان فمات بهِ واخذ كتبهُ المعتمد شحنة دمشق وكان مشيعاً بالصنعة

ثم اني توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذٍ وكان قد اتصل بهِ شهرتي بالموصل فانبسط اليَّ واقبل عليَّ وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا اليهِ وخيمتهُ الى خيمة بهاء الدين فوجدتهُ يكتب كتاباً

(١) يراد بها الكيمياء الكاذبة او تحويل المعادن الى ذهب

الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة وقال هذا كتاب الى بلدكم وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلاً كلهُ رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجههُ وشفتاهُ تلعب الوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنهُ يكتب بجملة اعضائه وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانهُ وتعالى « حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها » اين جواب اذا واين جواب لو في قوله تعالى « ولو ان قرآناً سيرت به الجبال » وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء وقال لي ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت اريد مصر فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها فلما دخلت القاهرة جاءني وكيلهُ وهو ابن سناء الملك وكان شيخاً جليل القدر نافذ الامر فانزلني داراً قد ازيحت علتها وجاءني بدنانير وغلة ثم مضى الى ارباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرّت الهدايا والصلات من كل جانب وكان كل عشرة ايام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي وأقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ رحمهُ الله اقرئُ الناس وكان قصدي في مصر ثلاثة انفس ياسين السيبائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي[1] وابو القاسم الشارعي وكلهم جاؤني اما ياسين فوجدتهُ محالياً كذاباً مشعبذاً يشهد للشاقاني بالكيمياء ويشهد لهُ الشاقاني

(١) قال ابن ابي اصيبعة في ترجمته « هو الرئيس ابو عمران موسى بن ميمون القرطبي يهودي عالم بسنن اليهود ويعدُّ من احبارهم وفضلائهم وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية وهو اوحد زمانهِ في صناعة الطب وفي اعمالها متفنن في العلوم وله معرفة جيدة بالفلسفة وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى له ويستطبهُ وكذلك ولدهُ الملك الافضل علي . وقيل ان الرئيس موسى كان اسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ثم انهُ لما توجه الى الديار المصرية واقام بفسطاط مصر ارتدَّ . وقال القاضي السعيد بن سناء الملك يمدح الرئيس موسى

ارى طب جالينوس للجسم وحدهُ ... وطب ابي عمران للعقل والجسم
فلو انهُ طبُّ الزمان بطبهِ ... لاعراهُ من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من بسطبة ... لتم له ما يدعيهِ من التم
ودارواهُ يوم التم من كلف به ... وابرأهُ يوم السرور والسقم

وجاء في الانسكلوبيديا البريطانية انهُ ولد بقرطبة سنة ١١٣٥ م وكانت في اوج مجدها وسنة ١١٤٨ تغلب عليها الموحدون واضطهدوا من فيها من اليهود فانتقل هو ووالدهُ الى فاس في المغرب الاقصى فخرج فيها على عبد المؤمن بن مولبا الشاعر وانتقل منها الى مصر سنة ١١٦٥ واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ويقال ان ريكاردس ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد عرض عليه ان يدخل في خدمته

بالسيماء ويقول عنهُ انهُ يعمل اعمالاً يعجز موسى بن عمران عنها وانهُ يحضر الذهب المضروب متى شاء وباي مقدار شاء وباي سكة شاء وانهُ يجعل ماء النيل خمرة ويجلس فيهِ واصحابهُ تحتها وكان ضعيف الحال . وجاءني موسى فوجدتهُ فاضلاً لا في الغاية قد غلب عليهِ حب الرئاسة وخدمة ارباب الدنيا وعمل كتاباً في الطب جمعهُ من الستة عشر لجالينوس ومن خمسة كتب اخرى وشرط ان لا يغير فيهِ حرفاً الاَّ ان يكون واو عطف او فاء وصل وانما ينقل فصولاً يختارها وعمل كتاباً لليهود سماهُ كتاب الدلالة ولعن من يكتبهُ بغير القلم العبراني ووقفت عليهِ فوجدتهُ كتاب سوء يفسد اصول الشرائع والعقائد بما يظن انهُ يصلحها[1]

وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نير الطلعة مقبول الصورة فهابهُ الجمع ورفعوهُ فوقهم واخذت في اقامة كلامي فلما تصرم المجلس جاء في امام المسجد وقال أتعرف هذا الشيخ هذا ابو القاسم الشارعي فاعتنقتهُ وقلت اياك اطلب فاخذتهُ الى منزلي واكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدتهُ كما تشتهي الانفس وتلذ الاعين سيرتهُ سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورتهُ . قد رضي من الدنيا ببرض لا يتعلق منها بشيء يشغلهُ عن طلب الفضيلة . ثم لازمني فوجدتهُ تياً بكتب القدماء وكتب ابي نصر الفارابي[2] ولم يكن لي اعتقاد في احد من هؤلاء لاني كنت اظن ان الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبهُ واذا تفاوضنا الحديث أغلبهُ بقوة الجدل وفضل اللسن ويغلبني بقوة الحجة وظهور الحجة وانا لا تلين قناتي لهزوز ولا احيد عن جادة الهوى والتعصب برموز فصار يحضرني شيئاً بعد شيء من كتب ابي نصر والاسكندر وثامسطيوس يؤنسني بذلك تفاري ويلين عريكة شماسي حتى عطفت عليهِ القدم رجلاً واوخرا اخرى

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادت الضرورة الى التوجه اليهِ فاخذت من كتب القدماء ما امكنني وتوجهت الى القدس فرأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة والقلوب محبة قريباً بعيداً سهلاً مهيباً واصحابهُ يتشبهون بهِ يتسابقون الى المعروف كما قال

---

(١) اما ابن ابي اصيبعة فذكر لهُ كتباً كثيرة وهي اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس ومقالة في البواسير وعلاجها ومقالة في تدبير الصحة ومقالة في السوم والخرز من الادوية القتالة وكتاب شرح المقالة وكتاب كبير على مذهب اليهود

وفي الانسكلوبيديا البريطانية ان لهُ كتباً كثيرة في الديانة اليهودية وكان لفلسفتهِ شان كبير في اوربا

(٢) هو ابو النصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان من فاراب مدينة في بلاد الترك بارض خراسان كان ببغداد وانتقل الى الشام واقام فيهِ الى حين وفاتهِ وهو من اكبر فلاسفة المشرق ان لم يكن اكبرهم ولهُ كتب كثيرة في الفلسفة ويعوّل عليهِ في فهم فلسفة ارسطوطاليس

تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل » واول ليل حضرتهُ وجدت مجلساً حفلاً باهل العلم يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة و يأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق وينفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتماً ببناء سور القدس وحفر خندقهِ يتولى ذلك بنفسهِ وينقل الحجارة على عاتقهِ ويتأسى بهِ جميع الناس الفقراء والاغنياء والاقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ويأتي دارهُ ويعدّ الطعام ثم يستريح ويركب العصر ويرجع في المشاغل ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً . فكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق واطلق اولادهُ رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار (١)

ورجعت الى دمشق واكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع وكلما امعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة وفي كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان الكيمياء وعرفت حقيقة الحال في وضعها وممن وضعها وتكذّب بها وما كان قصدهُ في ذلك وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين وتضاعفت شكري لله سبحانهُ على ذلك فان اكثر الناس انما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء

ثم ان صلاح الدين دخل دمشق وخرج يودّع الحاج ثم رجع فمُنع فقصدهُ من لا خبرة عندهُ فحارت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليهِ شبيهاً بما يجدونهُ على الانبياء . وما رأيت ملكاً حزن الناس بموتهِ سواهُ لانهُ كان محبوباً يحبهُ البر والفاجر والمسلم والكافر . ثم تفرق اولادهُ واصحابهُ ايادي سبا ومزقوا في البلاد كل ممزق واكثرهم توجه الى مصر فخصبها وسعة صدر ملكها . واقمت بدمشق وملكها الملك الافضل وهو اكبر الاولاد في السن الى ان جاء الملك العزيز بعساكر مصر يحاصر أخاهُ بدمشق فلم ينل منهُ بغية ثم تأخر الى مرج الصفر فتوجّع عرض لهُ فخرجت اليهِ بعد خلاصة منهُ فاذن لي في الرحيل معهُ واجرى عليَّ من بيت المال كفايتي وزيادة واقمت مع الشيخ ابي القاسم يلازمني صباح مساء الى ان قضى نحبهُ ولما اشتدّ مرضهُ وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسهِ واشرت عليهِ بدواء فانشد

لا اذود الطير عن شجرٍ قد بلوتُ المر من ثمرهِ

ثم سألتهُ عن المهِ فقال ما جرح بميت ايلام

(١) خمسين جنيهاً وهي تعادل أكثر من مئة جنيه بمعاملة هذه الايام باعتبار ما يشترى بها من الحاجيات

وكان سيرتي في هذه المدة التي اقرئ الناس بالجامع الازهر من اول النهار الى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب[1] وغيره وآخر النهار ارجع الى الجامع الازهر فيقرأ قوم آخرون وفي الليل اشتغل مع نفسي ولم ازل على ذلك الى ان توفي الملك العزيز وكان شابًا كريمًا شجاعًا كثير الحياء لا يحسن قول لا وكان مع حداثة سنه وشره شبابه كامل العقل . انتهى

ثم ان الشيخ موفق الدين اقام بالقاهرة بعد ذلك مدة وله الراتب والجرايات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين واتى الى مصر ذلك الغلاء العظيم والموتان الذي لم يشاهد مثله وألف في ذلك كتابًا ذكر فيه اشياء شاهدها او سمعها ممن عاينها تذهل العقل وسمي ذلك الكتاب كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر . ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب الديار المصرية واكثر الشام والشرق وتفرقت اولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الدين الى القدس واقام بها مدة وكان يتردد الى الجامع الاقصى ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم وصنف هنالك كتبًا كثيرة ثم انه توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها وذلك في سنة اربع وستمائة وشرع في التدريس والاشتغال وكان بأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرأون اصنافًا من العلوم وتميز في صناعة الطب بدمشق وصنف في هذا الفن كتبًا كثيرة وعرف به واما قبل ذلك فانما كانت شهرته بعلم النحو . واقام بدمشق مدة وانتفع الناس به . ثم انه سافر الى حلب وقصد بلاد الروم واقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان وكان مكينًا عنده عظيم المنزلة وله منه الجامكية الوافرة والاقطاعات الكثيرة وصنف باسمه عدة كتب . وكان هذا الملك عالي الهمة كثير الحياء كريم النفس وقد اشتغل بشيء من العلوم ولم يزل في خدمته الى ان استولى على ملكه صاحب ارزن الروم وهو السلطان كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان ثم قبض على صاحب ارزنجان ولم يظهر له خبر

قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف « ولما كان في سابع عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة رجعت الى ارزنجان من ارزن الروم وفي نصف ربيع الاول توجهت الى كماخ وفي جمادى الاولى توجهت منها الى دبركي وفي رجب توجهت منها الى ملطية وفي آخر رمضان توجهت الى حلب وصلينا صلاة عيد الفطر بالبهنساء ودخلنا حلب يوم الجمعة

(١) يظهر ان كل علوم ذلك العصر كانت تدرّس في الازهر حتى علم الطب

تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها وامنها بحسن سيرة اتابك شهاب الدين واجتمع الناس على محبته لعدلته في رعيته »

اقول واقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليه وكثرت تصانيفه وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم اتابك حلب جار حسن وهو متخل لتدريس صناعة الطب وغيرها و يتردد الى الجامع بحلب ليسمع الحديث ويقرئ العربية . وكان دائم الاشتغال ملازماً للكتابة والتصنيف . ولما اقام بحلب قصدت ان اتوجه اليه واجتمع به فلم يتفق ذلك وكانت كتبه ابداً تصل الينا و يبث الي اشياء من تصانيفه من خطه وهذه نسخة كتاب كتبه اليه لما كان بحلب

المملوك يواصل بدعائه وثنائه وشكره وانتمائه الى عبودية المجلس السامي المولوي السيدي السندي الاجلي الكبيري العالمي الفاضلي[1] موفق الدين سيد العلماء في الغابرين والحاضرين جامع العلوم المتفرقة في العالمين ولي امير المؤمنين اوضح الله به سبل الهداية وانار ببقائه طرق الدراية وحقق بحقائق الفاظه صحيح الولاية . ولا زالت سعادته دائمة البقاء وسيادته سامية الارتقاء وتصانيفه في الآفاق قدوة العلماء وعمدة سائر الادباء والحكماء . والمملوك يجدد الخدمة ويهدي من السلام اطيبه ومن الشكر والثناء أعذبه وينهي ما يكابده من اليم التطلع الى مشاهدة انوار شمسه المنيرة وما يعانيه من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرته الاثيرة . وما تزايد من القلق وتفاقم عند سماعه قرب المزار من الارق

وابرح ما يكون الشوق يوماً اذا دنت الديار من الديار

ولولا امل تقول الركاب العالي ووصول الجناب المولوي الجلالي لسارع المملوك الى الوصول ولبادر المبادرة بالمثول ولجاء الى شريف خدمته وفاز بالنظر الى بهي طلعته . فيا سعادة من فاز بالنظر اليه ويا بشرى من مثل بين يديه و يا سرور من حظي بوجه اقباله عليه ومن ورد بحار فضله من غيرها وامتضاء بشمس علمه فسرى في ضياء منيرها . نسأل الله تعالى تقريب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسرتي الابصار والاسماع بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى

ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انه بث الى ابي في اول كتاب وهو يقول فيه عني « ولد الولد أعز من الولد وهذا موفق الدين ولد ولدي وأعز الناس عندي

(١) يظهر ان الحاق الصفات بياء النسبة شاع في ذلك العهد المبالغة فيها وجرى عليه الكتاب ولو كانوا من خاصة العلماء

وما زالت النجابة تبين لي فيهِ من الصغر» . ووصف وائلي كثيراً وقال فيهِ « ولو امكنني ان آتي اليهِ بالقصد ليشتغل عليَّ لفعلت» . وبالجملة فانهُ كان قد عزم ان يأتي الى دمشق ويقيم بها ثم خطر لهُ انهُ قبل ذلك يحج ويجعل طريقهُ على بغداد وان يقدّم بها للخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفهِ ولما وصل بغداد مرض في اثناء ذلك وتوفي رحمهُ الله يوم الاحد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ودفن بالوردية عند ابيهِ وذلك بعد ان خرج من بغداد وبقي غائباً خمساً واربعين سنة ثم ان الله تعالى ساقهُ اليها وقضى منيتهُ بها

احكام انكليزية في العمولة والسمسرة

٢

اذا اشترط السمسار على نفسهِ شرطاً لاخذ السمسرة ولم يقم بهِ سقط حقهُ بها . مثال ذلك ان جماعة من السماسرة اتفقوا مع شخص على ان يحضروا لهُ شريكاً ليشاركهُ في عملهِ ويقدم مبلغاً معيناً من رأس المال . فاحضروا الشريك ولكنهُ ابى ان يدخل شريكاً بعد ان عرف حقيقة العمل لانهُ رأى ان ربحهُ غير كاف . فطلب السماسرة سمسرتهم مدعين انهم احضروا الشريك ومعهُ المبلغ المطلوب من رأس المال . فحكم القاضي لورد كلردج ان الرجل الذي احضروهُ لم يصر شريكاً ولا دفع مالاً فلا تحق لهم السمسرة . ولكن لو طلب السماسرة تعويضاً عن العطل والضرر الناتج من ان صاحب العمل لم يقرر اولاً الحقيقة عن عملهِ ولو قرّر الحقيقة لما اتعبوا انفسهم بالتفتيش عن شريك لهُ فحكم لهم بالعطل والضرر

النص يمنع التضمين . اتفق معاذرة مع بعض الماليين على ان يجعلوا حكومة الصين تقترض منهم مبلغاً من المال لكن الماليين كتبوا في التفويض العبارة التالية وهي « اننا اذا لم نستطع ان نتم هذا القرض فلا حق لكم عندنا» . وادّعى السماسرة انهُ جرى كلام شفاهي كثير بينهم وبين الماليين والشروط المذكورة في التفويض هي بعض ما تمّ الاتفاق عليهِ وقالوا ان الشروط المكتوبة تحتوي ضمناً شرطاً آخر وهو ان لا يفعل الماليون شيئاً من شأنهِ ابطال القرض . فحكم القاضي انهُ اذا كانت الشروط مكتوبة فلا يعمل بما ليس مكتوباً فيها اذا كان مناقضاً لها وانهُ لا يجوز استنتاج شيء منها ضمناً الاّ اذا اتفق الفريقان على استنتاجهِ

لا يجب البيع انهُ تمّ الاّ اذا انتقلت الملكية ودفع الثمن . كلّف مالك سماراً ان يبيع لهُ